# سيكولوجية شخصية البطل في رواية اكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق – دراسة نفسية

# *The Psychology of the Protagonist's Character in the Novel The Discovery of Desire by Faḍīla al-Faruq*

**د. سامية يحياوي***
جامعة 20 أوت 1955
**ط. رميسة يحياوي**
جامعة 20 أوت 1955

تاريخ الارسال.....2025/12/13.....تاريخ القبول .....2025/12/20..... تاريخ النشر .2025/12/30.....

**ملخص:**

يهدف هذا المقال إلى تتبع مسار الشخصية في رواية اكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق، وهي رواية سير ذاتية تقمصت فيها الروائية شخصية البطلة لتتوغل عبر السرد في عالم المرأة المتخم بالمفارقات. حيث اختصرت فضيلة الفاروق العلاقة الجدلية بين المرأة والرجل عبر عدة ثيمات منها الحب، الزواج والانفصال. وصورت الرجل في عدة صور مثل الأب، الزوج الصديق/ الحبيب والخائن، وقد هيمنت على علاقتهما علاقة ضدية صدامية، بسبب سيطرة الرجل والغائه لشخصية المرأة بسبب سلطة العادات والتقاليد وهذا ما رفضته وناضلت من أجل حريتها وتحقيق ذاتها.

الكلمات المفاتيح: الكتابة النسائية، السيكولوجية، الشخصية، البطل، رجل، امرأة

***Abstract***:

*This article aims to Tracing the Character's Trajectory in the novel Discovery of lust by Fadila A-l Farouk, an autobiographical novel in zich the novelist assumes the caracter of the heroine to delve through the narrative into the zorld of women, zhich is full of paradoxea. Fadila A-l Farouk summarizes the dialectial relationship between women and men through several themes, including love, marriage, and separation. He portrayed the man in several images, such as the father, the husband, the freind/lover, and the traitor. Their relatiinship was dominated by a conflicting, opposing relationship, due to the man`s cotrol and his elimination of the women`s personality due to the authority of customs and traditions, which she rejected and struggled for her freedom and self-realisation.*

*Women`s writing, psychology, character, man, woman*

1. مقدمة:

تعد الكتابة النسائية في الجزائر تجربة رائدة، لامست مجالات عديدة وشرّحت حقبا زمنية مختلفة من تاريخ الجزائر، تحدثت عنها المرأة بلغة شاعرية جريئة عبر شخصياتها الروائية التي كانت عنصرا فاعلا في تحريك الأحداث وتفجيرها، وتأزمها من أجل الوصول إلى الحل. حيث "تتجاوز الساردة حالتها الخاصة بهدف إعطاء بعد بيداغوجي وتاريخي لتجربتها الشخصية، حيث تسعى الروائية إلى نقل قيم معينة إلى القراء وفي مقدمتها الحرية، وتحفز شريحة محددة من النساء إلى استلهام العبر المناسبة من تجربتها لعلها تسعفهن على استرجاع الثقة بالذات واستشراف آفاق المستقبل المجهول بعزم وإصرار"[1]، حيث يعتبر حديث المرأة عن ذاتها أصعب رهان واجهته " فالكتابة عن الذات كانت تعد ضربا من المحظورات التي تنهى المرأة، بحكم النظرة الأخلاقية الضيقة عن البوح بأسرارها وتجاربها الشخصية إلى الغير. وهذا ما عانت منه المرأة خلال تنشئتها الاجتماعية، وجعلها تتخوف من اطلاع أفراد أسرتها على ما سودته من كتابات شخصية. فقد "حاولت الرواية الدفاع عن كيان المرأة بنتا كانت أو زوجة أو أما تحاول إلغاء الفوارق بينها وبين الرجل في حرية الاختيار وتطمح للمساواة التامة في كل الحقوق وترفض كل أشكال الأعراف والتقاليد التي تكرس السلطة الذكورية وتحرم المرأة من حريتها.

تميزت كتابات المبدعة "فضيلة الفاروق" بنقل وقائع وأحداث تاريخية ونفسية عبر شخصياتها الروائية، فقد خلقت في روايتها "اكتشاف الشهوة" بطلا متميزا تمثل في شخصية الراوي/ السارد، إضافة إلى شخصيات أخرى متميزة، وقد جعلت "لكل شخصية قصتها التي قد تطول أو تقصر حسب حجم حضورها في النص بين رئيسية وثانوية ومساعدة ومتميزة في صفاتها الجسدية وفي طبيعتها النفسية ونموها العاطفي والذهني من خلال سيرورة حياتها"[2]، وربما اتضح مظاهر هذا البناء في رواية اكتشاف الشهوة. وسأحاول إجلاء صورة الشخصية بكل تفاصيلها من خلال هذا النموذج.

أولا- شخصية البطل الراوي/باني بشطارزي: تعتبر "باني"بطلة رواية "اكتشاف الشهوة"، وقد تميزت بصفات مورفولوجية وسيكولوجية أبرزتها الرواية في:

أ الصفات المورفولوجية: يعد البعد الفيزيولوجي مهم جدا في توضيح ملامح الشخصية، وتقريبها إلى القارئ، كما يعد الاهتمام باسم الشخصية ذا أهمية في وصفها، إذ يرتبط الاسم بالشخصية ارتباطا وثيقا، فيجعلها فردية ومعروفة ويعطيها بعدها الدلالي الخاص، ذلك أن "الشخصيات لا بد أن تحمل اسما، وأن هذا الأخير هو ميزتها الأولى، لأن الاسم هو الذي يعين الشخصية ويجعلها معروفة"[3]. وقد كان اسم بطلة الرواية "باني" وهو اسم مميز، غير عربي لكن حروفه وطريقة نطقه تتداخل مع الاسم العربي، وهو ما يعكس شخصية البطلة العربية بلكنة أعجمية، فكانت شخصيتها متفردة خارجة على

المألوف. وهناك العديد من التقنيات لمعرفة مورفولوجية الشخصية " كالمواصفات الخارجية، التي تتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية كالقامة ولون الشعر، ولون العينين والوجه والعمر واللباس"[4]. ونلحظ أن "فضيلة الفاروق" لم تقدم وصفا لشكل باني وتقاسيم وجهها أون سبة جمالها، وإنما اكتفت بذكر عمرها، فهي شابة قسنطينية ذات الخمسة وثلاثين ربيعا، تزوجت من جزائري مغترب في باريس.

ب-الصفات النفسية (السيكولوجية): يعد البعد النفسي للشخصية فعال في إبراز ملامحها وشخصيتها، وذلك من خلال "التحكم في سلوكاتها وفق ما يختلج في دواخلها من مؤثرات تخضع لها الشخصية كالأفكار والمشاعر والانفعالات والعواطف..."[5]، ولهذه العناصر دور فعال في تكوين الشخصية. وهذا بدليل أننا نحكم على الشخصيات من خلال سلوكاتها وانفعالاتها وردود أفعالها.

كانت شخصية البطلة "باني" مثيرة للجدل منذ طفولتها، فقد استرجعت الراوية/ الكاتبة طفولتها الشقية حتى عمر الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر، وقد كانت ممزوجة بالألم والحسرة، فقد " كانت فتاة بتصنيفات الصبيان مشاغبة، مندفعة، متهورة، تقول: "صرت عدائية نحو الجميع، بداية من نفسي !"[6]. لكن رغم هذا حافظت البطلة على هذه الصفات في شبابها، حيث ظلت متمردة غير قابلة بتقاليد مجتمع بالٍ فرضت عليها.

لم تركز الروائية "فضيلة الفاروق" على الصورة الفيزيولوجية للبطلة "باني" ولا على اسمها، وإنما ركزت على البعد السلوكي والأخلاقي والنفسي للشخصية، والذي كان سببا في تمردها، واتخاذها للعديد من القرارات التي تصدم المجتمع ومن فيه.

عاشت باني حياة نفسية مضطربة، وغير مستقرة نظرا لشخصيتها القوية والعنيدة وغير القانعة بواقعها، فلم تتناسب عقليتها مع طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ الي ينظر للمرأة على أنها متاع لا يجب أن ينقل خارج البيت، أو أن يراه الناس. فبدأت مأساتها مع بلوغها أولا، ومنعها من الخروج إلى الشارع، ثم توالت صدمتها النفسية الثانية بزواجها من "مود" الرجل الجزائري المغترب في باريس، عندما اكتشفت حقيقته بعد الزواج، لتدخل في دوامة من الأحداث، فتتمرد عليه، لتعلن ثورتها على التقاليد والعرف، فتعيش التحرر والخيانة مع الكثير من الرجال تحت شعار الحب، لتقرر بعدها الطلاق لترميم أخطائها والبداية من جديد مع رجل مناسب لها.

ثانيا- علاقة شخصية البطلة باني بشخصيات الرواية:

جمعت "باني" علاقات متعددة ومختلفة مع شخوص الرواية، ومن شأن هذه العلاقات أن توضح المدلول، وأن تبرز سماته وفق رابط التشابه والاختلاف في الصفات، والوظائف، والجنس. وذلك على مستوى تصنيفات أربع هي:"الأسرة – الحبيب/الزوج – المجتمع/الأصدقاء-الأنا/الذات".

1-علاقة باني/الأسرة:

تعد الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، والمكوّن الآمن لتحقيق الاستقرار النفسي والروحاني للأفراد، والضمان الأمثل لتحقيق القيم وحفظ الأنساب والحقوق، فمنها يكون صلاح المجتمع أو فساده. ضمت أسرة باني": " الأب والأم والأخ والأخت، والجدة والعم" وقد تراوحت العلاقة بين أفرادها بين الهدوء والسكينة تارة والعدائية والقسوة تارة أخرى. حيث لم تكن علاقة البطلة باني بأسرتها علاقة حميمة مبنية على الحب والمودة، وإنما كانت علاقة متوترة هزيلة بسبب صرامة الأهل في التعامل مع البنات "الأنثى"، واعتبارها مجرد عورة، الوضع الذي لم تقبله البطلة نظرا لشخصيتها القوية والمتمردة.

أ- الأب: يعد الأب هو ركيزة الأسرة ودعامتها المتينة التي تحافظ على أمنها واستقرارها. كان والد "باني" شرطيا، وكان بطبعه صارما ومحافظا ومتزمتا، فلم تكن علاقته مع ابنته "باني" مبنية على الحب والعفوية، وإنما كانت علاقة جدية محكومة بضوابط المجتمع وأعرافه. تقول: "والدي وأخي إلياس، هما اللّذان لا يزالان قابعين في داخلي، ولم يختفيا أبدا، من مبنى الخوف الذي شيداه في قلبي"[7].

لم يكن حضور الأب كثيفا في الرواية، ولكن رغم الحضور الضئيل ظلت شخصيته منعكسة على امتداد فصول الرواية، حيث شكّل مصدرا للخوف والقهر بالنسبة للبطلة، نظرا لانضباطه وقواعده السلوكية الصارمة.

ب- الأم: شغلت أم "باني" دور الأم الضعيفة المستلبة، المذعنة لسلطة الأب، فقد كان دورها محدودا في حياة البطلة، توجهها وتحرص على حسن تربيتها بتوعيتها ونصحها، وكذا الحرص على تعليمها الأعمال المنزلية لاسيما الطبخ، التي كانت تكرهه باني لكنها تخضع لأوامر والدتها لتتفادى ثورة غضبها، تقول: "تقول الأم: حطي القصعة وعاونيني "تربحي السماح". فأضع القصعة بقربها، وأساعدها في فتل الكسكسي، لا من أجل أن أربح السماح منها على رأيها، ولكن لأربح راحتي، وألا يتحول كلامنا إلى مشادات ثم إلى خصام"[8]

كما رفضت الأم طلاق ابنتها من "مولود" ونصحتها بالصبر على ظلم الرجال وسوء طباعهم خوفا عليها من الطلاق والتشتت تقول:" مولود رجل تتمناه كل امرأة، قالت أمي...مولود لم يخسر شيئا، أنت التي خسرت كل شيء، (قالت أمي مجددا)"[9]. وهنا تدخل أخوها " إلياس" وقام بضربها "لكنني كنت أسمع والدتي وهي تحمسه أكثر: أضربها أكثر وقد فعل ما بوسعه لإرضائها وإرضاء حقارته، ثم خرج ظانّا أنه أنهى مهمته"[10]. كانت الأم تخاف على سمعة ابنتها وكلام الناس، كما كانت تخاف من زوجها، لهذا كانت صارمة وقاسية على ابنتها، واستعانت بابنها إلياس من أجل ترويضها وليّ رقبتها حتى تعدل عن قرار طلاقها وترجع لزوجها.

3- إلياس: هو أخ "باني تميّز بسلوكه العدائي اتجاهها، ولم يعرف الحنان والعطف اتجاه أخته، بل أصبح أداة ترهيب يستعملها والديها لتأديبها بكل عنف ووحشية. فبمجرد أن وصلت سن البلوغ حتى أصبح عدوها اللذوذ "...فالنسبة لي إلياس تنين خرافي بعشرة رؤوس، قد يطالني وإن عدت إلى بطن أمي، كان في الرابعة عشرة حين رآني ذات يوم مع عصابة "أبناء الرحبة" عاد إلى البيت هائجا كثور مجنون وأضرم النار في سريري، وقد كاد البيت أن يحترق يومها بسبب فعلته لولا أن هبّ الجيران وأخمدوا الحريق، وقد وقف والدي أمام فعلته مديد القامة نخورا بما حدث وقال أمام الجميع: في المرة القادمة عليك أن تحرق السرير حين تكون نائمة عليه"[11].

كان إلياس عنيفا لا يعرف النصح ولا لغة الحوار، فأسلوبه الوحيد هو "الضرب" وكأنه يتعامل مع حيوان وليس مع أنثى ولدتها أمه. وحتى في قضية طلاقها وقف ضدها عندما قالت:" ما الذي يزعجكم إن خسرت أو ربحت، الأمر يعنيني، ولكن إلياس لم يسمح لي بمواصلة الكلام، وصفعني حتى وقعت أرضا، ثم أمسكني من شعري وراح يزمجر، ستعودين إليه في أقرب فرصة، وستركعين أمامه مثل كلبة وستعيشين معه حتى تموتي"[12]. كان إلياس عصبيا وهمجيا ومثالا عن الأخ الشرير المتسلط الذي يمارس رجولته بعنف واستبداد اتجاه امرأة تكون أخته دون رحمة أو أدنى شفقة.

4-شاهي: هي أخت باني الكبرى، متزوجة وأم لولدين وبنت، وهي حامل. كانت علاقتها بأختها جيّدة، رغم اختلاف شخصيتهما، فشاهي هي الفتاة المسالمة والقنوعة والمطبقة لأوامر والديها والراضخة لقوانين المجتمع والعرف، فهي راضية بحياتها مع زوجها رغم الإهمال العاطفي الذي تعاني منه من طرف زوجها سألتها "باني" مرة:" ألست سعيدة مع زوجك يا شاهي؟ فأجابت بصوت خافت: ربما، إنه "يطعمنا ويكسينا" ولا يتركنا نحتاج شيئا، لكنه يمنعني من الذهاب إلى الحمام التركي، ويمنعني من أشياء كثيرة"[13]. كانت "شاهي" راضية بمعيشتها مع زوجها التي لا تتعدى الحقوق والواجبات. وبالتالي استطاعت شاهي أن تكسب رضا المجتمع على حساب أنوثتها وشخصيتها وكرامتها.

5-الجدّة: كانت جدّة "باني" مقعدة، لا تستطيع تلبية احتياجاتها، إلا بمساعدة الأم أو "باني"، بالمقابل نجد أن تفكيرها رجعي تميزت بعقلية محافظة تحصر دور المرأة في الزواج المبكر والإنجاب فقط، وهي ضد تعليم المرأة وتثقيفها حيث ترى فيه عيب وعار كبيرين.

كما صورتها الساردة فضولية تحب تتبع عورات الناس وأخبارهم بل وفضائحهم، لهذا كانت باني تتفنن في نسج خرافات وحكايات خيالية مليئة بالفضائح والممنوعات لإرضاء فضول جدتها.

وصورة الجدة في رواية اكتشاف الشهوة ليست إلا صورة نمطية عن ذهنية المجتمع الجزائري المريضة والمعوقة التي تهمّش المرأة وتعظّم الرجل، وتتبع العورات وتقمع المرأة خوفا من سلطة الرجل. وبالرغم

من هذا ظلّت البطلة في غربتها تشتاق لرائحة جدتها لتصرفاتها ولطلباتها التي لا تنتهي وذلك في مواطن متعددة من الرواية.

6- زوجة إلياس: كانت زوجة إلياس "أخو باني"، متحفظة تشبه "شاهي"، وكانت علاقتها محدودة مع أهل زوجها، خاصة "باني"، فكانت مثالا للشخصية السلبية الكتومة، تقول في سؤال وجهته لها باني إذا كانت تحب زوجها إلياس: "الاعتراف بالحب شبهة، والشبهة يعني الضلالة، والضلالة والعياذ بالله تقود إلى النار...سألتها مرة أخرى: كيف هو إلياس معك؟ هل يعاملك جيدا، هل يقول لك كلاما جميلا؟ نظرت إليّ بدهشة، وكأنها تشك في صحة عقلي، وقالت لي أنتم تاع فرنسا رايحلكم شويا، وقامت مستأذنة"[14].

نجحت زوجة إلياس في علاقتها الزوجية بهذه العقلية المتحفظة التي تشبه زوجها كثيرا فعلى رأي المثل :"ما يتزاوجو حتى يتشابهو".

7- محي الدين: هو عم "باني" وقد كان مختلفا عن باقي أفراد الأسرة، كان فنانا مبدعا، منفتحا، يحب الجمال ويحترم المرأة وهو موسيقي، علّم باني موسيقى المالوف، وقد اغتيل في شتاء 1995 في غرفته في فندق الزيت، مخلفا أرملته محبوبة وحيدة وقد حزنت عليه باني كثيرا لأنه كان يشبهها.

2.علاقة باني بشخصيات العائلة

يمكن أن نقسم عائلة باني حسب الجنس إلى قسمين {المرأة} و {الرجل}، حيث كانت شخصية الأم والجدة والأخت وزوجة الأخ شخصيات محافظة وضعيفة خاضعة لسلطة الرجل {الأب} و{الأخ}، وقد مثّلا نموذجا للقسوة والصرامة، حيث "غيّب المرأة صوتا وفعلا وكيانا، من أجل فرض هيمنته، والحفاظ على قوامته التي ظلّ يصارع من أجلها بشتى الطرق، حتى وإن كان على حساب هدر حقوق كائن يمثل رفيقه ومكمله في الحياة"[15]. مما يؤكد ذكورية المجتمع الذي حرص على تحقير المرأة وإذلالها وجعلها خاضعة له.

ورغم محاولة المجتمع الذكوري تهميش المرأة وتحقيرها، وتأكيد الحتمية البيولوجية بحفظ النسل وتربية الأبناء وانجاز الأشغال المنزلية، رفضت البطلة "باني" هذه الفكرة وهذا الحكم، وحاولت أن تواجه الرجل لتفرض شخصيتها وقناعاتها على المجتمع.

1-علاقة باني بـ: الزوج/الحبيب:

رأت البطلة باني العلاقة الزوجية "كإشكالية محيّرة تقود إلى علاقة غير متزنة ومبتورة بين المرأة والرجل، باعتبار أن الجنس من الموضوعات الإنسانية الحساسة والشائكة، التي أثارت جدلا واسعا، وخلافا عميقا بطول التاريخ البشري، فلم يكن من الممكن تجاهله بحكم أنه من الدوافع الأساسية المحركة للسلوك الإنساني، وفي الوقت نفسه لم يكن من الممكن تناوله دون حساسيات اجتماعية وتاريخية

ونفسية، تتراوح بين الحرية والتحريم المطلق طبقا لنوعية المرحلة الحضارية وروح العصر"[16]. تحدثت باني عن زواجها الفاشل، وعن رجال عبروا ذاكرتها وجسدها بكل جرأة وتحرر:

أ-باني/زوجها "مود": مود أو مولود هو زوج باني وهو قسنطيني مغترب في باريس. كانت باني تطمح للزواج من شاب يسعدها ويحبها ولكنّها صدمت بزوج فاسد، غير مهتم ولا مكترث بها وبمشاعرها. إضافة إلى أنه يشرب الخمر، ولا يرجع إلى المنزل إلا مع طلوع الفجر لانشغاله مع عشيقته. كما أنه ينتهك حرمة الصيام في شهر رمضان الفضيل، ويعتدي عليها بالضرب، تقول يوم تأخرها في منزل ماري:" مود ليلتها أصيب بنوبة غضب لأنني تأخرت عند ماري إلى العاشرة ليلا، ولأنه عاد مبكرا على غير عادته، الشيء الذي لم أتوقعه حين فتحت الباب، فاستقبلني بصفعة أوقعتني أرضا، ثم تمادى في ضربي، وكانت تلك أول مرة يكون فيها معي عنيفا لتلك الدرجة.. كانت ليلة خرساء... بلا صوت... بلا نفس ... بلا احتجاج !، لم أستطع فتح عيني، ولا تحريك يدي، ولا قدمي، كنت بالمختصر المفيد ميتة، في بيت مود بدا لي كلّ شيء يحترق وبدت لي نفسي عروسا من القش طالها الحريق أيضا"[17]. ظلّ العنف الجسدي والمعنوي يلاحق "باني" من طفولتها إلى زواجها، فإن كان أخوها إلياس يضربها من أجل الحفاظ على عرضه وسمعته، فها دافع "مود" نفسه، أي بسبب غيرته عليها، أم أنه أفرغ فيها شحنة غضب بعد شجار محتمل له مع عشيقته.

ظلّت "باني" صابرة ومتحملة لمزاجية "مود" وسوء خلقه معها، ولم تفكر في الطلاق خوفا من كلام الناس ونظرة المجتمع ومن عائلتها. وأدركت أن حكايات الحب والزواج السعيد مجرد وهم فحسب " القصة في بدايتها ... البطلة بحاجة إلى رجل قوي... الورق يكذب... الحياة لا تكذب"[18]. فقد فهمت جيّدا أن الرجال الذين عرفتهم تكمن قوتهم في قوة اللكمات التي يوجهونها لجسد المرأة وليست القوة التي يسخرونها لحمايتها، وهنا تكمن خيبتها.

وجدت "باني" نفسها في قبضة ثلاثة رجال سيطروا على حياتها وسلبوها حريتها في فترات عمرية مختلفة {الأب، الأخ، الزوج}، تقول:" "مود الغريب" ووالدي، وأخي "إلياس"، وقبضة الحديد التي يختفي بها النظام الأبوي الذي نعيش تحت رحمته"[19]. لم تحتمل البطلة "باني" هذه الوضعية المزرية وهذا العنف والحصار الذكوري، لتعلن ثورتها، ففكرت في الخلاص من سجنها الروحي، بضرورة التغيير وكسر الطابوهات، لتستعيد حريتها التي سلبها الرجل منها.

ج-باني/إيس:

دفع الفشل العاطفي مع "مود" البطلة "باني" للتفكير في الحلول، لسد الفراغ العاطفي الرهيب الذي تعيشه، فقررت إيقاظ مناطق الأنوثة فيها بالخوض في مغامرات عاطفية واهية، رأت فيها خلاصها واستعادة ذاتها الضائعة، فكانت أول نزواتها علاقتها مع "إيس" التي ابتدأت بقبلة طائشة كانت بالنسبة لها ولادة من جديد تقول:" قبلة إيس، كانت تلك أخطر المنعرجات في حياتي، أخطرها على الإطلاق، قبل أن أتحول إلى امرأة أخرى تشبه سيلا لمطر صيفي لا يميز بين الحجارة والكائنات"[20]

كان "إيس" من جنسية لبنانية، وهو متزوج، لكنه يعشق اللهو مع النساء، فهو متعدد العلاقات، وقد أعجب بـ"باني" لكنّه انسحب من حياتها فجأة بعد أن أجّج نار الحب في قلبها، وتركها مولعة بعشقه "وبهذا تجد المرأة نفسها تتحرك في عالم الرجل القذر، الرجل الشيطان والرحمان والنعمة واللعنة، والخصم والحكم، إنها تثور ضده وتعود إليه، تعلن عن استقلاليتها عنه، وتحتمي به، تسقط تمثاله المهيب، عن عرش الوعي، فتستبين فراغ العالم وفراغها هي... فتعود لتملأ الفراغ برجل يختصر كلّ القضايا والمبادئ والأوطان"[21]، هربت "باني" من جحيم "مود" إلى "جنة "إيس"، لكن مغامرتها كانت مجازفة في غير محلها، حيث لم تقع في العنوان الصحيح ولم تطرق الباب الصحيح ليبقى موعدها مع السعادة يتأجل في كلّ مرة.

د-باني/ توفيق بشطارزي:

توفيق هو جار "باني" في باريس، وابن عمها. حيث التقت به هناك بعد سنة من إقامتها في فرنسا، بعد ان سمعها تعزف مقطعا من موسيقى المالوف بقيتارة عمها محي الدين، فأدرك انها من قسنطينة وبالصدفة عرف أنها تحمل نفس اسم العائلة "بشطارزي" أي ابنة عمه. وقد جمعتهما علاقة صداقة قوية باحت فيها باني بآلامها وخيبتها من زواجها ونزوتها مع ايس، فكان نعم المواسي ونعم الرفيق، كما استذكرت معه ماض جميل عاشته في قسنطينة تقول: "أتذكر جدتي دائما يا توفيق، وأتذكر عمي محي الدين، وزوجته محبوبة والزنقة، وأحياء قسنطينة القديمة، وكل شيء هناك... الحياة هناك غريبة قال"[22].

وقد تحولت علاقة الصداقة بينهما فيما بعد إلى حب.

هـ-شرف: هو صديق باني، وقد تعرفت عليه عند "ماري" وقد أعجب بها، وبادلته الاعجاب لفترة، لكنها لم تغرم به فقطعت علاقتها معه.

قررت "باني" بعد كل هذه الأحداث التي مرت بها الطلاق من "مود"، لتبدأ علاقة جديدة ناجحة مع ابن عمها "توفيق بشطارزي"، تقول :" لقد أدركت معنى أن نهرب من زوج، ونتطلق من رجل آخر، معنى أن نقترب من بوابة الخيانة، ونقرعه خلسة بقلب يعلن الثورة، ومعنى أن نكون في عالم رجل، وندخل إلى عالم رجل آخر".[23]

تحدثت الروائية "فضيلة الفاروق" عبر شخصية البطلة/الساردة "باني" عن موضوع الخيانة الزوجية التي أصبحت ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة، مفصلة في الأسباب المتمثلة في العنف ضد المرأة والإهمال العاطفي والزواج التقليدي.

3-باني/ الأصدقاء:

جمعت باني صداقات متعددة مع جيرانها في باريس، فبعد زواجها بمود عانت من فراغ كبير، ملأته بعقد علاقات صداقة مع نساء ورجال أوصلتها إلى الانحراف، فكانت أول صديقة لها هي "ماري" وبعدها توالت الصداقات.

أ-ماري: كانت "ماري" سببا في تعرف "باني" على "إيس" وعلى "شرف" وعلى "توفيق بشطارزي" حيث أباحت لها المحرمات تحت شعار الحرية والاستمتاع بالحياة، فخاضت في علاقات متعددة نكاية في زوجها الذي تفنن في إهمالها، لتقتنع أخيرا أن سعادتها لن تكتمل إلا بالطلاق ثم الزواج من الرجل المناسب الذي اختارته هي.

ب-الطبيب سليم: كان سليم طبيب باني لمدة فاقت السنة، هذه المدة جعلته يصبح صديقها المقرب، الأمر الذي ساعد في علاجها. تكونت صداقة سليم وباني في مستشفى الأمراض العقلية، بعد أن تعرضت البطلة لصدمة عنيفة بسبب الفيضان، ولم يظهر في الرواية إلا في الفصل الأخير. حيث تولّى مهمة سرد الأحداث التي كانت فيهم باني غائبة عن الوعي، فوضّح لها أن كل علاقاتها منذ زواجها من مود إلى قرار طلاقها ليس إلا وهما صنعه اللاشعور لديها أثناء غيبوبتها، يقول:" عجبت أنك أعطيتني قائمة من الأسماء كلهم ميّتون عدا الفنان توفيق البشطارجي الذي يعيش في فرنسا منذ سنوات. كيف كلّهم ميّتون؟ وإيس يهمني إيس... شاعر لبناني من أصل فلسطيني اغتيل في شوارع بيروت برصاص مجهول، واتضح فيما بعد أنه لم يكن المقصود بالقتل، إذ لم يكن له توجه سياسي معين، كان من أولئك الشعراء الدين يعتبرون الشعر قضية إنسانية"[24]

د-البطلة وتداعيات الأنا:

تخلل سرد الأحداث مونولوجات جمعت البطلة باني بذاتها، حيث كانت تحاورها وتنصحها وتجادلها بعد أن تأزمت حالتها النفسية حيث أصبح القارئ "يدرك الشخصية من داخلها وليس من خارجها وعلاقاتها حينذاك يقتنع بأن الشخوص تنظر إلى ذاتها وإلى الآخر وتشكل نظرة الآخر إليها. عبر وعيها المأساوي منطلقة من موروث الرعب المتراكم في اللاشعور ومن الإحساس بالحقارة والتفاهة نحو اعتبار الآخر مرعبا ومخيفا"[25]

بدأت صدمة باني بعد زواجها أين أدركت الهوة العميقة بينها وبين زوجها، فالتجأت إلى الاسترجاع وحديث الذات "بعد شهر تماما صرت نقطة بلا معنى في شارع باريسي ضائع في الكون لم أعد أفهم له معنى...أين قسنطينة؟ وأصوات المآذن؟ ورائحة المحاجب والزلابية والبوراك؟ يدهشني أن لا رائحة في باريس"[26]. باتت باني تحن إلى أيام عزوبيتها أين كانت تعيش في حضن عائلتها ومدينتها قسنطينة التي أحبتها، ولكن بالرغم من هذا لاتزال حاقدة على صرامة العادات والتقاليد هناك، تقول:" كنت أنتمي إلى مجتمع ينهي حياة المرأة في الثلاثين"[27]

تعلقت باني بقسنطينة، وحنّت لها، لكن طبيعة الناس وصرامة العادات والتقاليد لا تتوافق مع قناعاتها ولا تتناسب مع ميولاتها وأهوائها ففضلت باريس تقول: "ولكن باريس جميلة، ومتوهجة في الوقت الذي تنام فيه قسنطينة في حضن رجل شرس، بلا قلب، بلا مخ، بلا صوت، وتسرق أنفاسها خلسة من مساء يختنق ويقول الشعر الذي يجعلنا نبكي، لا الشعر الذي تقوله باريس في صالونات تتضح بالتصفيق"[28]

كانت باني تعيش صراعا داخليا، فهي تدرك قيمة العادات والتقاليد وضرورة احترامها، بالمقابل تسمع صوتا داخليا نابعا من أناها يناديها ويغريها بضرورة عيش حياتها دون قيود ولا رجعية، هنا تميل إلى باريس ونجوميتها وضوضائها وصخبها وتحررها، فتتحول الفتاة البريئة إلى عاهرة، تقول: "أحار. تراني عاهرة صغيرة، أو مشروع عاهرة، أم أنني أشبه كل الناس، وما يحدث لي طبيعي وعادي؟ أتساءل لم لا أنهي علاقاتي الرجالية المختلسة؟ لم لا أكون امرأة مفرغة من الشهوة؟ لملا أكون كائنا متفرغا للتعبد؟ لم لا أكون ملاكا؟"[29]

لا تزال البطلة في حالة تخبط وتردد بين الالتزام والتحرر، فقد سلكت طريق الشهوة، ولكن ضميرها لايزال حيا يأنبها ويفتح معها الحديث ليستمر وقتا طويلا بين أخذ ورد مما جعل البطلة متوترة وغير متصالحة مع نفسها/ذاتها.

استمرت باني في عيش تفاصيل زواج فاشل، ولم تفكر في أن تطلب الطلاق لأنها تعرف جيدا رد فعل عائلتها والمجتمع من لقب "مطلقة"، تقول في حديث لها مع صديقتها "ماري" "عودي إلى الجزائر وطلقيه، ذهلتُ: في الجزائر المطلقة تعيش تحت النعال"[30]

لكن بالرغم من إدراكها لهول عواقب الطلاق، قررت أن تواجه أهلها بهذا القرار، لأن انفصالها عن مود بات ضرورة تحفظ بها كرامتها وصحتها تقول:" اتخذت قراري لأعود إلى قسنطينة وأواجه العائلة بطلاقي من مود... عدت وأنا مقتنعة أن "الباب الذي يأتي منه الريح لا يمكن سده لأستريح يجب كسره، والوقوف في وجه الريح حتى تهدأ لقد تعلمنا سياسة الإغلاق منذ نعومة أظافرنا، ولهذا نحن

نجهل تماما ما معنى الريح، وما معنى أن تهب، وما معنى أن تحرق معها الوساخات والمبادئ المزيفة والأعراف المعلقة كالتعاويذ والتقاليد الكرتونية"[31]

لقد أدركت "باني" أن زواجها من مود هو زواج فاشل، لا مستقبل له لكنها استمرت سنة كاملة وهي تعاني ولم تفهم بعدها ما الذي اضطرها للصبر على ذلك الوضع المزري. تقول: "في بيت مود... بدا لي كل شيء يحترق، وبدت لي نفسي عروسا من القش طالها الحريق أيضا، لم أفهم لماذا لم يطلقني مود... من تلقاء نفسه، ولماذا نصر" على تخنيط العلاقة التي بيننا وإبقائها رغم أنها ماتت بالفعل"[32] .

كان قرار باني بالطلاق قرارا صائبا حاولت من خلاله أن تضع حدا لحزنها ولأسباب شقائها وضياعها في بحر اللذة والشهوات، فحاولت أن تواجه لتنطلق من جديد امرأة قوية خالية من العقد والمكبوتات النفسية التي فرضتها عليهم أعراف المجتمع، لتشفى من كل أمراضها ولتنطلق من جديد عبر عملية الكتابة التي كانت ملاذها، تقول:" في الليل لا أنام، أفرد أوراقي وأكتب ما أسميه رواية، وبطبيعة الحال لم أكن أعرف أي نوع من الرواية أكتب، هل أكتب نفسي، أم أكتب محيطي، أم أكتب الآخرين ثم أروي قصة لنفسي لأشفى"[33]. أدركت باني أن سبيل الشفاء والتصالح مع الذات هو الكتابة، لتنقص قليلا من ضجيج قلبها بعد أن أتعبها وأنهكها حديث النفس. كانت الكتابة هي الخلاص بالنسبة لباني، ومساحة بيضاء صافية كانت أحسن ملجأ لها لترميم نفسها، بإفراغ آلامها وآمالها وتطلعاتها.

البعد النفسي لشخصية المرأة وعلاقتها بالرجل في رواية اكتشاف الشهوة:

عبرت "فضيلة الفاروق" في رواية "اكتشاف الشهوة" عن تمزق داخلي وانكسار نفسي تعود أغلب أسبابه إلى تهميش المرأة من طرف الرجل، والحط من قيمتها، لذلك اختارت الرواية السير ذاتية لتجسيد ذلك بشكل واضح وصريح، حيث، حيث "يلعب التحليل النفسي دورا هاما في اخراج اللاشعور من دائرة الكبت إلى حيّز الفعل عبر تسلسل كلامي حافل برغبات مكبوتة، وبالتالي تغدو الشخصية عند لاكان تركيبة لغوية يقاومها الإنسان من أجل مواصلة تمويه ذاته بكل رغباتها، وبما أن الحديث مركز ها هنا على اللاشعور، فالإنسان في كثير من الأحيان لا يعرف فيم يرغب" [34]

جعلت الحالة النفسية المتأزمة التي تعيشها البطلة باني الساردة أن تخلق أزمنة متعددة، مثل زمن الغياب الذي تفقد فيه البطلة وعيها، وتغيب عن زمن تسلسل أحداث الرواية، فيصبح الزمن متواترا بشكل يبرز الماضي أحيانا، وأحيانا يعود إلى الحاضر، فكل أحداث الرواية تقريبا وقعت في زمن نفسي يحيل على الغياب واللاحضور، تقول :" جمعتنا الجدران، وقرار عائلي بال، وغير ذلك لا شيء آخر يجمعنا، فبيني وبينه أزمنة متراكمة، وأجيال على وشك الانقراض... لم يكن الرجل الذي أريد،... ولم

أكن حتما المرأة التي يريد، ولكننا تزوجنا، تزوجنا وسافرنا، ومن يومها انقلبت حياتي رأسا على عقب"[35]

كان كل هذا السرد الذي عشناه مع الساردة مجرد وهم وحلم طويل عاشته البطلة بسبب تأزم وضعها النفسي، مما أدخلها في الغيبوبة ثم الهذيان. فباني البطلة/ الساردة تزوجت وسافرت إلى فرنسا، وعاشت مغامرات عاطفية متعددة، وتعرفت على شخصيات مختلفة. لكنها تجد نفسها آخر المطاف في مشفى للأمراض العقلية، بعد غيبوبة دامت ثلاث سنوات، إثر حادث انهيار منزلها بسبب الفيضان.

زاوجت رواية اكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق بين التاريخ والحداثة، بين النهار والليل، بين الحياة والموت، بين الحب والكراهية، بين السلام والحرب، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الحقيقة والحلم/الخيال.

وقد استخدمت الكاتبة الجنس من أجل إشعال نار التلهف عن معرفة المزيد عن هذا الجانب المظلم في حياة المبتدئين. من منطلق أن كل ممنوع مرغوب فيه، فتحدثت عبره عن العنوسة والزواج المختلط وغير المتكافئ.

وتحيل كل هذه الموضوعات الموظفة في الرواية على تأزم الحالة النفسية لباني، والكبت العاطفي الذي عانت منه، حيث يرفض المجتمع الجزائري المحافظ تحرر المرأة في عواطفها، سواء مع الأهل أو حتى مع الزوج. لقد كانت البطلة امرأة مثقفة وغير عادية، لم تقبل أن تعيش الحياة الدونية التي عاشتها جدتها وأمها وأختها الكبرى. فقررت أن تفرض نفسها في المجتمع كأنثى. لكن العقلية السائدة كانت أقوى منها لتدخل في غيبوبة لم تستيقظ منها إلا بعد جلسات علاجية متكررة مع طبيب نفسي، ولتكون الكتابة خلاصها ومنقذها فبعد أن باحت تحرّرت من كل عقدها النفسية ومكبوتاتها.

4. خاتمة:

وخلاصة القول هي أن أصبحت المرأة في الكتابة النسائية هي البطلة أولا ثم الرجل ثانيا، حيث لم تبق تلك المرأة الضعيفة الاتكالية العاجزة مسلوبة الإرادة، بل ظهرت بشخصية قوية صابرة قادرة على التحمل وتغيير حياتها وحياة المحيطين بها.

الهوامش:

* المؤلف المرسل

1-محمد الداهي: محكى الحياة النسائية في المغرب، الكتابة النسائية والتخييل، دار المنظومةالدار البيضاء، 2005، ص83

[2] -محمد أقضاض: الشخصية في الرواية الحديثة المغربية، دار الثقافة، ط1، 1996، ص221

[3]-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية) المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت،1990، ص248

[4] –محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1؟، بيروت لبنان، 2010، ص40

[5] –ينظر المرجع نفسه: ص40

[6]–فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، رياض الريس للنشر والتوزيع، 2005، ص16

[7] –المصدر نفسه: ص13

[8] المصدر نفسه: ص127

[9] –المصدر نفسه: ص87

[10] –المصدر نفسه: ص88

[11] –المصدر نفسه: 14

[12] -المصدر نفسه: ص88

[13] -المصدر نفسه: ص90-91

[14] -المصدر نفسه: ص99

[15] - خديجة حامي: السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013، ص28

[16] -المرجع نفسه: ص104

[17] -فضيلة الفاروق: اكتشاف الشهوة، ص57-59

[18] -المصدر نفسه: ص23

[19] -المصدر نفسه: ص23

[20] -المصدر نفسه، ص31

[21] -عفيف فراج: الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت، 1980، ص10

[22] - فضيلة الفاروق: اكتشاف الشهوة، ص72

[23] -المصدر نفسه: ص29

[24] -المصدر نفسه: ص108

[25] -محمد أقضاض: الشخصية في الرواية الحداثية المغربية، ص226

[26] -فضيلة الفاروق: اكتشاف الشهوة، ص10-11

[27] -المصدر نفسه: ص13

[28] -المصدر نفسه: ص41-42

[29] -المصدر نفسه: 67

[30] -المصدر نفسه: ص 35

[31] -المصدر نفسه: ص83

[32] -المصدر نفسه: ص59

[33] -المصدر نفسه: ص 100

[34]-صلاي عباس: علاقة اللاشعور بالأثر الفني عند لاكان، مجلة النص، م4، ع1، أفريل2017، سيدي بلعباس الجزائر، ص58

[3535] -فضيلة الفاروق: اكتشاف الشهوة، ص 07

قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر:

- فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، رياض الريس للنشر والتوزيع، 2005

2.المراجع:

- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية) المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت،1990

-عفيف فراج: الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت، 1980

- محمد أقضاض: الشخصية في الرواية الحديثة المغربية، دار الثقافة، ط1، 1996

-محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1؟، بيروت لبنان، 2010

-محمد الداهي: محكى الحياة النسائية في المغرب، الكتابة النسائية والتخييل، دار المنظومة، الدار البيضاء، 2005

3. المجلات والدوريات:

-صلاي عباس: علاقة اللاشعور بالأثر الفني عند لاكان، مجلة النص، م4، ع1، أفريل2017، سيدي بلعباس الجزائر

4.رسائل جامعية:

- خديجة حامي: السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013،